الكتابة الجدارية :

12.0

د.غزلان هاشمي

25/03/2024

قائمة المحتويات

وحدة	5
مقدمة	7
I-تاريخه:	9
II-ماهية الكتابة الجدارية :	11
III-الكتابة الجدارية في الوطن العربي :	13
IV-أشكال الكتابة الجدارية :	15
V-أنواع الكتابة الجدارية :	17
خاتمة	19
قائمة المراجع	21

وحدة

ـ يهدف هذا الدرس إلى التعرف على إحدى الأشكال الخطابية المهمشة ألا وهي الكتابة الجدارية.
ـ معرفة ماعلاقتها بأدب الهامش وكيف تخلصت من هامشيتها في العصر الحالي.

مقدمة

ما يسمى بالفن الجداري أو الجداريات أو غرافيتي ، حقل من حقول الفن التشكيلي ، و يعني الرسم على الحائط لأغراض متعددة قد تكون تسجيلية أو رمزية أو توثيقية و قد تكون جمالية خالصة ، و قد ارتبطت بوجدان الإنسان من أجل التعبير عن مكنونات نفسه بسبب وجود دوافع متعددة و مرجعيات خاصة المرجع الديني الذي يعد مؤثرا و موجها لها.

I تاريخه:

كان الإنسان الأول يستخدم الفن من أجل حمايته حسب معتقداته و طقوسه ، فقد أقام على جدران الكهوف رسومات و زخارف تحمل معتقداته سواء على سبيل جلب النفع أو على سبيل دفع الشر. لقد اعتقد الإنسان الأول أن هناك قوى عظيمة تؤثر في كيانه دون أن يراها لذلك لجأ إلى الفن يستعين به على تحقيق بغيته فرسم على جدران كهوفه التي كان يسكن فيها.

كانت الجداريات ترسم في المعابد و المقابر ثم في الكنائس و المساجد ، لذا ظلت رسوماتها غالبا دينية الطابع تجسد رؤى الإنسان للموت و العالم الآخر ثم انتقلت إلى قصور الملوك فيما بعد لتسجل إنجازاتهم و ترسم انتصاراتهم أو لتجسد أبعادا دنيوية أخرى تناقض تلك الآفاق الدينية.

بدأ الإهتمام بظاهرة الكتابة على الجدران حديثا من قبل العلماء و السلطات المحلية ، بعد أن لوحظ وجود خربشات على جدران المراحيض العامة ظهرت في بدايات القرن الماضي ، و أول من اهتم بهذه الظاهرة و حللها لغويا و اجتماعيا عام 1928 الباحث اللغوي الأمريكي " ريد ".

نشأت في أحياء مدينة نيويورك في منتصف السبعينات حركة شبابية سعت إلى الكتابة على الجدران على سبيل الهزل و المزاح ، إذ عبرت عن ذواتها و أحاسيسها ، هذا و ارتبطت هذه الكتابة بالأنفاق و القطارات و قد مارس هذه الكتابة على وجه الخصوص الأمريكيون من أصل إفريقي أو إسباني ، و كانوا غالبا من الطبقات الفقيرة و المهمشة ، إذ طور هؤلاء أدواتهم و أساليبهم من أجل إبداع اتجاه جديد في الكتابة و الرسم.

هذا و ارتبطت هذه الكتابة بحركة " هيب - هوب " التي ظهرت في نيويورك في السبعينات إضافة إلى الـ " راب " و " دي جي " و رقص الـ " بريك " ، هذا و كانت العصابات الأمريكية طوال عقد الستينات تستخدم الجدران من أجل تحديد مناطق نفوذها.

في أواخر الستينات رسم فنانو الشوارع أشكالا فنية على الجدران و سمي هذا النوع بـ " تاغينغ " ناهيك عن استخدام الجدران لنشر شعارات سياسية أو ثقافية في مناطق مختلفة من العالم ، فمثلا في باريس و خلال تظاهرات الطلبة و العمال في ماي 1968 امتلأت الجدران بشعارات سياسية و ثورية.

ازدهرت هذه الكتابة و استأثرت باهتمام السياح و الباحثين و حتى مخرجي الأفلام ، حتى كانت أواخر الثمانينات إذ قررت سلطات نيويورك إزالة كافة القطارات المغطاة بهذه الكتابة من الخدمة ، لذلك بدأت حملة القطارات النظيفة في ماي 1989 ، على إثر ذلك خرج الكثير من ممارسي الغرافيتي من أنفاقهم و قطاراتهم ليبدأوا عرض رسومهم و كتاباتهم على جدران الشوارع فيما يسمى " قتالات العرض الشارعية " ، في الوقت ذاته بدأ بعض الفنانين بعرض أعمالهم في صالات عرض خاصة بل صار لبعضهم استوديوهات خاصة كالرسامين التقليديين.

مع ازدياد شعبية الجداريات الشعبية بدأت بعض الشركات الكبرى باستخدامها لأغراض تجارية كالإعلان و التسويق. أطلقت شركة الحواسيب آي بي إم حملة إعلانية في الولايات المتحدة عام 2001 ، إذ جندت شبابا ليرسموا على الجدران باستخدام الرذاذات اللونية كلمات " سلام ، محبة ..." و تم اعتقال بعض هؤلاء الرسامين التجاريين لتخريب الممتلكات العامة و غرمت الشركة وقتها ، و عام 2005 أطلقت شركة سوني حملة مشابهة ، و تفادت مصير الشركة السابقة بالدفع مسبقا لأصحاب الأبنية التي رسمت عليها الإعلانات.

II ماهية الكتابة الجدارية :

أو غرافيتيا الجداريات و الغرافيتي تعني " نحت و تسوية و صياغة هلى شكل ما ، في الإغريقية نجد كلمة Graphein التي تعني : يكتب ، يرسم ، يلون ، أما في اللاتينية فأصلها يعود لمفردة Graphium و تعني : يخربش ، يخبش و يكشط ، في حين نجدها في اللغة الإيطالية مشتقة من كلمة Sraffito و تعني يخدش و يخربش ، تطور اشتقاقها لـ Graffito مفردة كلمة Graffiti و معناه كتب و خدش أو خمش أو حكّ سطحا "

عرب هذا المصطلح باسم غرافيتي و عني به الرسم أو الكتابة على الجدار تتسم بلغة خاصة بها تعتمد على استخدام رموز و إشارات تحمل المعاني التي يسعى أصحابها لإيصالها ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة التي ينتمون إليها و بعاداتهم و تقاليدهم و سائر انشغالاتهم.

سميت بالكتابة على الجدران نظرا لتواجدها على الجدران بغض النظر عن نوعها و الفضاء الاجتماعي الذي تحتله ، إذ تستخدم فيها أدوات خاصة بطريقة فنية و تحمل عبارات ذات مغزى معين و يطلق عليها أيضا مصطلح فن الشارع من قبل ألن شوارتسان عام 1985 و استخدمه للإشارة إلى كافة أشكال التعبير الفني في المناطق الحضارية و التي وُلِدَت من ثورة الغرافيتي ، و تحمل قيما جمالية فنية و أساليب مختلفة تماما عما كان سائدا في السبعينات و الثمانينات في فن الجرافيتي في نيويورك.

هذا التعريف يحيل إلى اللاشرعية ، لذلك يمكن اعتبار الغرافيتي : " الكتابة أو الرسم على الجدران الخالية بعبارات و رسومات تلفت الأنظار ، تخاطب عقول الجماهير و الحكومات ، تحرك مشاعرهم نحو قضايا الوطن و هو ما يمكن اعتباره رسالة أو وسيلة سهلة و مجانية للتعبير عن الرأي ، و لكن بطريقة غير مرغوب فيها أو دون موافقة صاحب المكان "

إن هذه التعريفات تركز على الصبغة غير الرسمية لهذه الكتابة فهي شكل من أشكال التعبير الحر ، لا تلزم كاتبها مسؤولية معينة كونها مجهولة المصدر ، إذ لا مراقبة مفروضة على كاتبها.

و بالنظر لطابعها العشوائي و العفوي ذلك ، قد يتخيلها القارئ مجرد خربشة و كلام هامشي ، ناتج عن نقص وعي و نقص معرفة ، في حين أنها تمثل رسائل مشفرة ذات دلالات مضمرة موجهة لفئة معينة مقصودة.

فهي قد تكون فعلا أو عملا يهدف إلى التغيير أو الإبلاغ أو الإعلام تشمل كل قضايا المجتمع ، النفسية أو الثقافية أو التاريخية أو الاقتصادية أو السياسية...

III الكتابة الجدارية في الوطن العربي :

بلغ هذا الفن قمته مع تأهل الفريق الوطني لكرة القدم لنهائيات كأس أمم إفريقيا و تصفيات كأس العالم ، حيث تفنن الشبان في استعمال الجدار لمناصرة الفريق الوطني ، خاصة مع ظهور شعار 1 ، 2 ، 3 تحيا الجزائر و معاك يا الخضرا...

في نفس السياق ظهر هذا النوع على جدران الأحياء في مصر ، مع ظهور الثورة خاصة في فترة حكم حسني مبارك ، إذ عبر عن معارضة الشباب لنظام الحكم و مقاومته و انتشرت بين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 30 سنة ، فقد كانت ذات طابع نضالي لذا سعى هؤلاء لتخليد الثورة و تعريف الأجيال اللاحقة بها من خلال وضع أسماء الأعلام و شهداء الثورة مع صورهم و شعاراتهم على الجدران ، بدءً من ميدان التحرير في القاهرة و انتهاء بمحافظات أقصر الجنوب المصري.

لقد أصبح هذا النوع تحريضا ضد السلطات السياسية و تهديدا لها ، لذا حاولت قوات الشرطة مكافحتها و قامت بملاحقة أصحابها و فرض عقوبات عليهم ، بل و زامن ذلك حملات تنظيف قامت بها السلطات المحلية رغبة منها في محو آثار الثورة ، هذا الفعل الذي نتج عنه خروج الثائرين مرة أخرى للشارع و إعادة رسم كل ما تم مسحه...

هذا و انتشرت هذه الكتابة في ليبيا و العراق ضد سياسة صدام حسين و اليمن و تونس و سوريا و إيران و فلسطين... تعبيرا عن الأوضاع السائدة.

انتشرت هذه الكتابة في غياب الرسمية مع اتساع مجال الحرية ، ضف إلى ذلك إنشاء مواقع و مجلات متخصصة بفن الجرافيتي مثل : المجلة الفرنسية " غرافيت " التي تختص بفن الجرافيتي الباريسي أو الفرنسي المنتشر على الجدران و القطارات و الشاحنات.

و قد حظيت هذه الكتابة باهتمام علماء اللغة و علماء النفس اللغوي و كذا علماء الاجتماع اللغوي فقد عدها هؤلاء عبارة عن ظاهرة نفسية اجتماعية تعبر عن مكبوتات الفرد و رغباته و ما يعيشه ، إضافة لقدرتها على عكس الأوضاع الاجتماعية لمجتمع ما ، و مبادئه ، حيث سعوا لاكتشاف الدوافع التي تجعل المرء يميل لمثل هذه الأعمال ، كما استعملت هذه الكتابات كتجارب لمعالجة المرضى النفسيين و اكتشاف البعد الاجتماعي الذي تعكسه... إن هذه الكتابة تشير إلى القضايا العامة من فساد في الحكم أو تسلط السلطات السياسية... فهي من وجهة نظر علماء النفس قد تظهر و كأنها تدل على الاستعرائية و ذلك من خلال معجم الكلمات البذيئة المستعملة في الأماكن الخاصة ، المتراوحة بين الدعابة و العشوائية من أجل إخفاء شخصياتهم و هوياتهم الحقيقية...

أما علماء النفس الاجتماعي فيرون أنها ضمن الثقافة الهامشية لمجتمع معين تترجم التنوعات و المتغيرات الطارئة عليه... لكن تظل دون مسمى أي مجهولة المصدر نظرا لمجموعة القيود المفروضة من قبل المجتمع و صرامته.

تعتبر الكتابة الجدارية صوت الجماعات المهمشة إذ تصور معاناتهم ، حيث نلحظ مجموع الشعارات المتواجدة على الشوارع و الطرقات مثل : الرغبة في الهجرة ، الحقرة ، أعطونا السكن ، نريد الرحيل...

و نظرا لأنها صادرة عن هذه الجماعات المقموعة فلم يعترف بها من قبل المؤسسات الرسمية إذ في معظم المجتمعات كانت وسيلة للتعبير عن التمييز العنصري أو للتعبير من قبل الراسبين في المدارس أو العاطلين عن العمل و السجناء و المتسكعين في الطرقات أو من قبل الذين يعيشون انحلالا أخلاقيا أو مشاكل أسرية و عاطفية... (1)

IV أشكال الكتابة الجدارية :

1- الشعار / الرسالة : فهي الشكل الأبسط و الأقدم ، لا يحتوي إلا على الرسالة اللغوية ، و قد تكون عبارة عن كلام فاحش أو كلام له معنى ، نجده في كل أنحاء المدينة... و هو الشكل الأكثر شيوعا ، تستخدم للاحتجاج أو التمرد أو المعارضة...

2- الغراف : يستخدم فيه الطلاء الذي يحتاج إلى براعة و مهارة ، و يتم التركيز فيه على الرسالة و الشكل أيضا ، و قد يكون من وضع بعض الشباب الذين ينتمون لمجموعة واحدة ، يسعون لإبراز أعمالهم في شكل جماعات و عصابات ينشرون رسالاتهم على مساحات كثيرة...

3- التاق / النقش الجداري : عبارة عن علامة خاصة يتركها الفرد تخليدا لاسمه أو تعريفا بنفسه ، و هو توقيع يوضع في مختلف وسائل النقل الحديثة كالمترو... و ذلك من خلال استعمال أسماء مستعارة... و هو أقدم أنواع الجرافيتي ، إذ تستعمل فيه أقلام الماركر... و ما يميز هذا النوع الدقة و الاحترافية و إصابتها الهدف من ناحية الإفصاح.

4- **Throw up** : هو عبارة عن توقيع أيضا لكنه أكثر أهمية من التاق ، يحوي عدة ألوان ، يسعى إلى التعريف بالأسماء المكتوبة على الجدران و هدفها التغيير أو التوجيه. (2)

٧ أنواع الكتابة الجدارية :

1- الكتابة العامة : سميت كذاك لتحدثها عن القضايا العامة و المتعلقة بالشؤون المختلفة للدولة و الأماكن التي تكتب فيها تكون مكشوفة...

2- الكتابة الخاصة : لا تهتم بالقضايا الاجتماعية بل بالأمور الشخصية ، غالبا ما توجد على جدران المراحيض خاصة أو على جدران داخلية ، تطرح المواضيع النفسية و الجنسية ، لذلك تعمد للتستر في أماكن غير مكشوفة لا يصل إليها الكثير من الناس.

خاتمة

في الأخير يمكن القول أن الكتابة الجدارية انتقلت من الهامش إلى المركز ،وينطبق ما قال عنه الدكتور حسن البحراوي :إن مآل أدب الهامش أن يتحول إلى أدب مركزي بل مركزي جدا،سيتجاوز بمركزيته كل الحدود المسموح بها في مجالي التفكير والتعبير ،ذلك لأنه أدب يمتلك من القوة والتميز وهو يعيش في الظل أكثر مما يمتلكه الآخر وهو مغمور بالأضواء".

قائمة المراجع

[1] بركات سعيد محمد:الفن الجاري"الخامة ـ الغرض ـ الموضوعات" ،عالم الكتب للنشر والتوزيع،مصر، 2008.

[2] صفا لطفي:الموجز في تطور الفن الجداري،مكتبة لبنان ناشرون،لبنان ،2014.